

**كثرة الابتلاءات
داخل البيت
أسبابه، وآثاره
وسبل المعالجة**

د. عبدالسلام حمود غالب

كثرة الابتلاءات داخل البيت: أسبابه، وآثاره، وسبل المعالجة

أ.د. عبد السلام حمود غالب الأنسي



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وجعل الآخرة دار جزاء وحساب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الأسرة المسلمة تمثل اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وفي صلاحها صلاح كبير للفرد والمجتمع، وفي اضطرابها آثار تتجاوز أفرادها إلى المحيط الاجتماعي كله. ولذلك اعتنى الإسلام بالأسرة عناية بالغة، فأقام العلاقة الزوجية على السكن والمودة والرحمة، وجعل تربية الأبناء أمانة، ورتب الحقوق والواجبات بين أفراد الأسرة ترتيبًا دقيقًا.

ومع ذلك فإن البيت المسلم ليس بمنأى عن الابتلاء؛ فقد يتلى الإنسان في زوجته، أو أولاده، أو ماله، أو صحته، أو علاقاته، وقد تتابع عليه صور متعددة من المشكلات حتى يشعر أن البلاء قد أحاط ببيته من كل جانب.

وهنا تظهر أهمية الفقه الصحيح للابتلاء؛ إذ إن الخطأ في تفسيره قد يقود إلى نتائج خطيرة: فقد يظن الإنسان أن كل مصيبة عقوبة على ذنب، أو يظن أن كثرة البلاء دليل على غضب الله، أو يلجأ إلى تفسير الخلافات الأسرية تفسيرًا غيبيًا محضًا ويهمل الأسباب النفسية والتربوية والاجتماعية، أو على العكس يهمل الجانب الإيماني تمامًا ويجعل المشكلة مجرد خلل مادي أو نفسي.

والمنهج الإسلامي المتوازن يجمع بين الأمرين: الإيمان بحكمة الله وقضائه، ومراجعة النفس، والأخذ بالأسباب الشرعية والواقعية، والصبر مع الإصلاح.



المبحث الأول: مفهوم الابتلاء وحقيقته الشرعية

أولاً: معنى الابتلاء

الابتلاء في أصل اللغة يدور حول الاختبار والامتحان، ويستعمل في الخير والشر. قال تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35].

وهذه الآية من أهم الآيات في فهم موضوع الابتلاء؛ لأنها تبين أن الابتلاء لا يكون بالمصائب فقط، وإنما يكون بالخير والشر معاً.

فالمال ابتلاء، والفقر ابتلاء، والصحة ابتلاء، والمرض ابتلاء، والأولاد ابتلاء، وعدم الأولاد ابتلاء، والزوج الصالح ابتلاء، والزوجة الصالحة ابتلاء، وحتى المشكلات الأسرية ابتلاء. قال تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28].

فليس الابتلاء مقصوراً على الألم، بل قد يكون العطاء نفسه امتحاناً: هل يشكر الإنسان؟ وهل يؤدي حق النعمة؟

ثانياً: الابتلاء سنة كونية عامة

الابتلاء ليس استثناءً في حياة البشر، بل هو سنة ماضية منذ خلق الله آدم عليه السلام. قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155].

وقال سبحانه:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2].

فالحياء كلها ميدان اختبار، والبيت جزء من هذا الميدان، وليس محمياً من الابتلاء.



المبحث الثاني: لماذا يبتلي الله عباده؟

ينبغي الحذر من الجزم بسبب معين لكل حادثة؛ لأن الحكمة الإلهية في الابتلاء قد تتعدد.

أولاً: تحقيق العبودية

من أعظم مقاصد الابتلاء أن يظهر صدق العبودية. فالعبد في الرخاء يقول: الحمد لله، وفي الشدة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويستعين بالله، ولا يقطع رجاءه منه. قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31].

ثانياً: التمييز والتمحيص

قال تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 179].

فالشدائد تكشف معدن الإنسان، وتظهر مقدار صبره وتوكله وإيمانه.

ثالثاً: تكفير السيئات

ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:

«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» [متفق عليه].

وهذا من أعظم أبواب الرحمة في البلاء؛ فالمرض والألم والهَم قد يتحول في حق المؤمن إلى أجر وتكفير للسيئات.

رابعاً: رفع الدرجات

قال النبي ﷺ:

«أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ» [رواه الترمذي].

فلو كان البلاء دليلاً حتمياً على سوء حال الإنسان، لما كان الأنبياء أشد الناس بلاء.

وقال ﷺ أيضاً:



«إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» [رواه الترمذي وحسنه].

خامسًا: التنبيه من الغفلة

قد يكون البلاء تذكيرًا للإنسان بعد غفلة، أو إيقاظًا له من رقدته، أو دافعًا له للرجوع إلى الله. قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41].



المبحث الثالث: هل كثرة الابتلاء داخل الأسرة دليل على غضب الله؟

هذه من أهم المسائل التي تحتاج إلى تحرير دقيق، وهي محور إشكالي في النص الأصلي.

الجواب: لا يصح الجزم بذلك، ولا يجعلها دليلاً على الغضب

فالمصيبة قد تكون:

• تكفيراً للذنوب.

• رفعاً للدرجات.

• امتحاناً للصبر.

• تذكيراً بالله.

• سبباً للرجوع إلى الله.

نتيجة طبيعية لأسباب بشرية.

وقد تكون عقوبة على بعض الذنوب في بعض الأحوال.

لكن لا يجوز لنا أن نحدد السبب الغيبي في حادثة معينة بغير دليل.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30].

فهذه الآية أصل في أن الذنوب قد تكون سبباً لبعض المصائب، لكنها لا تعني أن كل مصيبة معينة يمكننا الجزم بأنها عقوبة على ذنب معين.

وفي المقابل، قال تعالى:

﴿وَلَبَلُّوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155].

فالابتلاء سنة عامة.

تحرير العبارة: ليس كل مبتلى مذنباً، وليس كل معافى محبوباً عند الله



وهذا من أعظم ما ينبغي تقريره. فالنبي ﷺ قال:

«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ مُجْتَبًى مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» [متفق عليه].

فقد يكون الإنسان محققًا في الخصومة الدنيوية، ومع ذلك يكون مذنبًا بسببها في الآخرة، وقد يكون المبطل ظاهريًا هو المصيب في الباطن. وهذا يبين أن الأحكام الظاهرية ليست دائمًا مطابقة للواقع الغيبي.



المبحث الرابع: أسباب كثرة المشكلات والابتلاءات في البيت

من الخطأ اختزال أسباب اضطراب الأسرة في سبب واحد. والأدق تقسيمها إلى أربعة مستويات:

المستوى الأول: الأسباب الإيمانية

مثل:

• ضعف الصلة بالله.

ترك الصلاة أو التهاون بها.

العفلة عن الذكر.

ضعف التوكل.

انتشار المعاصي.

عدم مراقبة الله في الحقوق.

أكل المال الحرام.

الظلم.

العقوق.

قطيعة الرحم.

وهنا ينبغي أن تكون المعالجة بالتوبة والإصلاح، لا بمجرد الخوف.

المستوى الثاني: الأسباب الأسرية

وهذه من أكثر الأسباب التي يمكن للإنسان التعامل معها:

1. ضعف الحوار: قد يعيش الزوجان في بيت واحد، لكن كل واحد منهما يعيش في عالم مختلف. المشكلة ليست دائماً في قلة الكلام، وإنما في غياب التواصل الحقيقي.
2. كثرة النقد واللوم: البيت الذي تتحول فيه الحياة إلى "أنت دائماً مخطئ، أنت لا تفهم، أنت لا تفعل شيئاً صحيحاً" هو بيت يفقد الأمان تدريجياً.



3. تراكم المشكلات: المشكلة الصغيرة إذا لم تعالج قد تتحول إلى غضب متراكم، ثم إلى قطيعة، ثم إلى كراهية.

4. عدم معرفة الحقوق والواجبات: كثير من النزاعات الزوجية ليست بسبب سوء النية، وإنما بسبب الجهل بما لكل طرف من حقوق وما عليه من واجبات.

5. سوء إدارة الخلافات: كرفع الصوت، والإهانة، واستدعاء أخطاء الماضي، والمقارنة بالآخرين.

المستوى الثالث: الأسباب الاقتصادية

المال من أكثر أسباب النزاع الأسري، ومن صور ذلك:

• الديون المتراكمة.

• سوء إدارة الدخل.

• الإنفاق فوق القدرة.

• المقارنة بالأسر الأخرى.

• عدم الاتفاق على الأولويات المالية.

• إخفاء الدخل أو الديون عن الطرف الآخر.

• البطالة.

• ضعف التخطيط المالي.

ولهذا ينبغي أن يتحول المال من مصدر صراع إلى مشروع أسري مشترك.

المستوى الرابع: الأسباب النفسية والتربوية والاجتماعية

مثل:

• القلق المستمر والضغط النفسية.

• الإرهاق الجسدي والنفسي.

• سوء التربية وغياب القدوة.



العنف الأسري (الجسدي أو النفسي).

إهمال الأبناء عاطفياً وتربوياً.

الصحة السيئة للأبناء.

الإفراط في استخدام الهاتف والألعاب والمحتوى غير المناسب.

تدخل الأقارب بصورة تفسد العلاقة الزوجية.

ضعف البيئة الصالحة المحيطة.

غياب المهارات الحياتية الأساسية (كالتواصل، حل المشكلات، إدارة الغضب).

وهنا تظهر أهمية عدم تفسير كل مشكلة بأنها "عين" أو "سحر" أو "عقوبة". فقد يكون الطفل مثلاً يعاني من مشكلة نفسية أو تربوية تحتاج إلى مختص، وقد يكون الخلاف الزوجي ناتجاً عن ضعف مهارات التواصل، وليس بالضرورة بسبب سبب غيبي.



المبحث الخامس: البلاء المتعلق بالأولاد

الأولاد من أعظم نعم الله، وهم في الوقت نفسه من أعظم ميادين الاختبار. قال تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46].

وقال سبحانه:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28].

ومن صور الابتلاء في الأولاد:

- المرض الجسدي أو النفسي.
- ضعف التحصيل الدراسي.
- العناد والتمرد.
- الانحراف السلوكي.
- الصحبة السيئة.
- العقوق.
- الإدمان على الأجهزة والمحتوى الضار.
- ضعف الالتزام الديني.
- المشكلات النفسية كالإكتئاب والقلق.

والخطأ أن يواجه الوالدان كل ذلك بالصراخ والعقوبة فقط. بل المطلوب:

1. الفهم: معرفة طبيعة المرحلة العمرية للابن.
2. الحوار: الاستماع الحقيقي لمشكلاته وآرائه.
3. التوجيه: بالحكمة والموعظة الحسنة.
4. المتابعة: المستمرة والهادئة.



5. القدوة: فالأبناء يقتدون بفعل الآباء لا بقولهم فقط.
6. الدعاء: فالدعاء سلاح المؤمن، وخصوصاً دعاء الوالدين لأبنائهم.
7. العلاج: عند الحاجة، سواء كان نفسياً أو تربوياً أو طبياً.



المبحث السادس: البلاء بين الزوجين

العلاقة الزوجية ليست علاقة خالية من الاختلاف؛ قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

والأصل أن الاختلاف يعالج بالمعروف ومن أهم أسباب تفاقم الخلافات:

1. سوء الظن.
2. الغضب غير المسيطر عليه.
3. رفع الصوت والكلمات الجارحة.
4. الإهانة والتقليل من شأن الطرف الآخر.
5. إدخال الأهل في كل مشكلة.
6. استدعاء أخطاء الماضي.
7. المقارنة بالآخرين.
8. الإهمال العاطفي.
9. التقصير في الحقوق الزوجية.
10. عدم الاعتذار عند الخطأ.
11. التجسس والتفتيش المفرط.
12. ضعف المشاركة في المسؤوليات الأسرية.

والعلاج ليس في البحث عن "من المخطئ؟" دائماً، وإنما أحياناً في السؤال: كيف نخرج من المشكلة بأقل خسائر، ونحافظ على الأسرة؟

ومن المفيد أن يقرأ الزوجان معاً في فقه الأسرة، وأن يحضرا دورات في مهارات التواصل، وأن يتذكروا دائماً الحديث النبوي:

«لَا يَفْرَكَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» [رواه مسلم].



المبحث السابع: العلاقة بين الذنوب والابتلاء

هذه المسألة تحتاج إلى توازن دقيق بين طرفين: طرف يغلو في ربط كل مصيبة بذنوب، وطرف ينكر أي علاقة بين الذنوب والمصائب.

الموقف الصحيح:

يمكن أن نقول: الذنوب من أسباب المصائب في الجملة، كما قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: 41].

وقال سبحانه:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: 30].

لكن لا يجوز تعيين الذنب سبباً لمصيبة معينة بلا دليل، وقد قال النبي ﷺ:

«إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُتَبَتَّلِيَّ فَلَا تَشْتُمُوهُ، وَلَكِنْ احْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي عَاقَبَكُمْ» [حديث حسن بمجموع طرقه].

ولهذا إذا كثرت المشكلات في البيت فالموقف الصحيح:

بدل أن يقول الإنسان: "أكيد الله يعاقبنا"، يقول: "قد يكون في الأمر ابتلاء، وقد يكون فيه تقصير منا، فلنراجع أنفسنا ونصلح ما نستطيع، مع حسن الظن بالله".

وهذه صيغة أكثر سلامة شرعاً ونفسياً.



المبحث الثامن: كيف نعالج كثرة الابتلاءات؟

أولاً: التوبة والمراجعة الذاتية

تبدأ الأسرة بمراجعة صادقة:

• هل في أموالنا حرام؟

هل هناك ظلم لأحد؟

هل هناك تقصير في الصلاة؟

هل هناك عقوق للوالدين؟

هل هناك قطيعة رحم؟

هل هناك حقوق زوجية ضائعة؟

هل هناك ظلم للأبناء؟

لكن هذه المراجعة يجب أن تكون إصلاحية لا جلدًا للذات.

ثانيًا: إصلاح الصلاة والعبادة

قال تعالى:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].

فالبيت الذي يريد تجاوز الأزمات يحتاج إلى إعادة بناء علاقته بالله. ومن ذلك:

• المحافظة على الصلوات في وقتها، خصوصًا الفجر.

قراءة القرآن بتدبر.

الذكر في الصباح والمساء.

الاستغفار الدائم.

الدعاء في السحر والأوقات الفاضلة.



قيام الليل ولو قليلاً.

الصدقة ولو قليلة.

صلة الرحم.

ثالثاً: الدعاء للأسرة

من أعظم الأدعية:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: 74].

ومن دعاء النبي ﷺ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» [رواه البخاري].

ومن دعائه ﷺ أيضاً:

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» [رواه مسلم].

رابعاً: الأخذ بالأسباب الواقعية

وهذا أصل مهم جداً:

• إذا كان المرض هو المشكلة → العلاج الطبي.

إذا كان الدين هو المشكلة → التخطيط المالي.

إذا كان الخلاف الزوجي هو المشكلة → الإصلاح والاستشارة الأسرية.

إذا كانت المشكلة في الأبناء → دراسة أسبابها تربوياً ونفسياً.

إذا كان هناك عنف أو خطر → طلب الحماية والمساعدة المناسبة.

إذا كانت المشكلة نفسية → مراجعة المختص النفسي.



التوكل لا يعني ترك الأسباب، بل يجمع المسلم بين الاعتماد على الله وفعل الأسباب المشروعة. قال رسول الله ﷺ لما سأله رجل: أعقلها وأتوكل، أم أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل» [رواه الترمذي].



المبحث التاسع: منهج عملي للأسرة المبتلاة

يمكن وضع برنامج إصلاحي لمدة أربعين يومًا:

الجانب الإيماني:

- المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة قدر الإمكان.
- قراءة ورد يومي من القرآن (ولو صفحة).
- الاستغفار 100 مرة يوميًا.
- الدعاء للأسرة في السجود.
- صدقة ولو قليلة.

الجانب الزوجي:

- جلسة حوار أسبوعية (ساعة بدون مشتتات).
- منع الإهانة والصراخ نهائيًا.
- الاعتذار عند الخطأ فورًا.
- ذكر ثلاث إيجابيات عن الطرف الآخر يوميًا.
- تجنب المقارنات مع الآخرين.
- إظهار التقدير والشكر للطرف الآخر.

جانب الأبناء:

- وقت يومي للحوار الفردي مع كل ابن (ولو 15 دقيقة).
- متابعة الدراسة بشكل غير متسلط.
- معرفة الأصدقاء وزيارة أولياء أمورهم.
- تقليل الاستخدام الضار للأجهزة (بوضع حدود زمنية).



نشاط عائلي مشترك أسبوعي (خروج، لعبة، وجبة).
الثناء على السلوك الجيد أكثر من النقد للسلوك السيئ.

الجانب المالي:

- كتابة جميع مصادر الدخل.
- كتابة المصروفات الشهرية.
- تحديد الديون وترتيب سدادها.
- وقف المصروفات غير الضرورية مؤقتًا.
- وضع أولويات واضحة (الضروريات قبل الكماليات).
- تشاور الزوجين في القرارات المالية الكبيرة.

الجانب الصحي:

- معالجة الأمراض المزمنة.
- النوم الكافي (6-8 ساعات).
- الغذاء المتوازن.
- النشاط البدني المناسب (30 دقيقة مشي يوميًا).
- مراجعة المختص عند الحاجة (نفسي، طبي، تغذية).

الجانب الاجتماعي:

- تقليل الاحتكاك بمن يثير المشكلات أو يزرع الفتن.
- صلة الرحم في حدود المعقول.
- اختيار الناصح الأمين عند الحاجة للاستشارة.
- الاستفادة من الاستشارات الأسرية المتخصصة.
- الابتعاد عن مجالس الغيبة والنميمة التي تضر بالبيت.



المبحث العاشر: كيف نعرف أن الأسرة تسير في طريق التعافي؟

ليست علامة التعافي اختفاء جميع المشكلات فوراً. بل من علاماته التدريجية:

1. انخفاض مستوى الصراخ والغضب.
 2. زيادة الحوار الهادف.
 3. الاعتذار عند الخطأ بصدر رحب.
 4. عودة الثقة تدريجياً.
 5. تحسن العلاقة بين الأبناء والوالدين.
 6. انتظام الصلاة والعبادة الأسرية.
 7. انخفاض مستوى القلق والتوتر.
 8. القدرة على حل المشكلة بدل تضخيمها.
 9. عدم تكرار الأخطاء نفسها.
 10. ظهور روح التعاون والمشاركة.
 11. انخفاض الشكوى للآخرين.
 12. ازدياد الدعاء للأسرة.
- فقد يبقى البلاء، لكن يتغير تعامل الأسرة معه، وهذه في حد ذاتها صورة من صور الفرج.



المبحث الحادي عشر: أخطاء شائعة في التعامل مع البلاء الأسري

الخطأ الأول: تفسير كل شيء بالعين والسحر

لا ينبغي إنكار العين والسحر؛ فقد ثبتت النصوص الشرعية، لكن الخطأ هو تحويل كل مشكلة أسرية إلى تفسير غيبي دون فحص الأسباب الواقعية.

قال ﷺ:

«الْعَيْنُ حَقٌّ» [متفق عليه].

لكن الفحص الشرعي للعين له أصوله، ولا ينبغي أن يكون الرد الأول لكل مشكلة.

الخطأ الثاني: اعتبار كل مصيبة عقوبة

هذا غير صحيح، فالأنبياء ابتلوا، والصالحون ابتلوا، وأشد الناس بلاء الأنبياء.

الخطأ الثالث: ترك العلاج بحجة التوكل

المرض يعالج، والمشكلة الأسرية تعالج، والمشكلة النفسية تعالج. التوكل لا يعني إهمال الأسباب.

الخطأ الرابع: اليأس والقنوط

قال تعالى:

﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53].

وقال النبي ﷺ:

«وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» [رواه الترمذي].

الخطأ الخامس: فضح أسرار البيت

ليس كل قريب أو صديق صالحًا للاستشارة. والأصل حفظ خصوصية الأسرة، مع الاستعانة بأهل الحكمة والعلم عند الحاجة.

قال ﷺ:



«إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُقْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُقْضَى إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»
[رواه مسلم].

الخطأ السادس: انتظار حل سحري فوري

بعض المشكلات تحتاج وقتاً، والصبر مطلوب، والإصلاح التدريجي هو الأسلوب النبوي.

الخطأ السابع: إهمال النفس

كثير من الآباء والأمهات يهملون صحتهم النفسية والجسدية في سبيل الأسرة، وهذا يؤدي إلى انهيارهم ثم انهيار الأسرة كلها.



المبحث الثاني عشر: متى يكون البلاء باباً إلى الفرج؟

من أجمل المعاني في هذا الباب أن الإنسان قد يدخل الأزمة وهو يظن أنها نهاية الطريق، ثم يكشف بعد سنوات أنها كانت سبباً في تغيير حياته إلى الأفضل.

فالمرض قد يعيد الإنسان إلى ربه، والخلاف قد يعلمه قيمة الأسرة، والأزمة المالية قد تعلمه التخطيط، ومشكلة الابن قد تدفع الوالدين إلى اكتشاف أسلوب تربوي أفضل، والهم قد يرفع درجات المؤمن في الآخرة.

وهكذا تتحول المحنة — مع الصبر والعمل — إلى منحة تربوية وإيمانية.

قال تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴾ [الشرح: 5-6].

ولم يقل سبحانه: "بعد العسر يسراً" فقط، بل قال: ﴿ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾؛ إشارة إلى أن اليسر قد يكون مصاحباً للعسر وإن لم يره الإنسان في بدايته.

وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2-3].

وقال سبحانه:

﴿ أَلَا إِنَّ نَظْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: 214].

علامات تدل على أن البلاء قد يكون تكفيراً ورفعاً

• أن يبقى العبد صابراً محتسباً، غير ساخط ولا متذمر.

• أن يكون البلاء مفاجئاً ولم يسبقه تقصير ظاهر.

• أن يكون البلاء دافعاً له للتوبة والإنابة أكثر من قبل.

• أن يشعر مع البلاء بقرب من الله وأنسه بدعائه.

• أن يكون البلاء مؤقتاً ثم يتبعه فرج ونفسية منشحة.



خاتمة

كثرة الابتلاءات داخل البيت ليست حكمًا بالإدانة على الأسرة، وليست دليلاً قطعياً على غضب الله، كما أنها ليست دعوة إلى الاستسلام للمشكلة.

إنما هي ميدان للعبودية والصبر والمراجعة والإصلاح.

فالأسرة المؤمنة لا تسأل فقط: "لماذا ابتلانا الله؟"، بل تسأل أيضاً:

• ماذا يريد الله منا في هذا الابتلاء؟

ماذا نتعلم منه؟

وما الذي يجب أن نصلحه؟

وما الأسباب التي ينبغي أن نأخذ بها؟

وكيف نتعامل مع بعضنا البعض في هذه المحنة؟

كيف نخرج من هذه الأزمة بأقل الخسائر وأكبر المكاسب الإيمانية؟

والمنهج الصحيح يجمع بين أربعة أمور:

1. الإيمان بالقضاء والقدر مع حسن الظن بالله.

2. التوبة والمحاسبة بدون جلد للذات.

3. الصبر والاحتساب مع طلب الأجر من الله.

4. الأخذ بالأسباب الواقعية والشرعية.

وبذلك يتحول البيت من مكان تتراكم فيه الأزمات إلى مدرسة للإيمان والصبر والتعاون، ومن موطن للمحنة إلى طريق للمنحة.

نسأل الله أن يصلح بيوتنا، وأن يقر أعيننا بأزواجنا وذرياتنا، وأن يجعلنا للمتقين إماماً، وأن يرزقنا الصبر على البلاء، والشكر على النعماء، والرضا بالقضاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



تأمل معي

البيت المسلم ليس محصناً من الابتلاء، بل هو جزء من امتحان الدنيا.
ولكن الخبر السار أن الله لا يبتلي عبداً إلا لحكمة، ولا يضيع أجر المحسنين. وقد قال تعالى:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5-6]

فاجعل من بلائك جسراً إلى القرب من الله، ومن همومك باباً للدعاء، ومن آلامك دروساً للصبر، ومن أخطائك فرصاً للتوبة والإصلاح. واعلم أن العاقبة للمتقين، وأن نهاية الصبر فرج، ونهاية الظلام فجر. اللهم أصلح لنا بيوتنا، وأقر أعيننا بأزواجنا وذرياتنا، واجعلنا للمتقين إماماً، واهدنا لأحسن الأخلاق والأعمال، إنك على كل شيء قدير.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



ملحق: أدعية مهمة للبيت المسلم

1. دعاء للأسرة:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمَتِّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

2. دعاء عند الكرب:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» [متفق عليه].

3. دعاء الهم والحزن:

«اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِّيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي» [رواه أحمد].

4. دعاء تحصين البيت:

«بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ثلاث مرات صباحًا ومساءً [رواه الترمذي].

5. آيات وأذكار الصباح والمساء:

• قراءة سورة الإخلاص والمعوذات ثلاث مرات.

قراءة آية الكرسي.

قراءة ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

قول: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ».



مصادر ومراجع

1. صحيح البخاري - الإمام البخاري.
2. صحيح مسلم - الإمام مسلم.
3. سنن الترمذي - الإمام الترمذي.
4. تفسير ابن كثير - ابن كثير الدمشقي.
5. زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن قيم الجوزية.
6. فقه الأسرة في الإسلام - العديد من المؤلفات المعاصرة.
7. التربية الإسلامية والأسرة المسلمة - كتب متخصصة.
8. الاستشارات الأسرية - مراجع في الإرشاد النفسي والتربوي.

